نوبل بالحرف العربى ...

فى تمام العاشرة من صباح الخميس ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ وصل «نجيب محفوظ» إلى مكتبه فى جريدة الأهرام.. الحجرة رقم (٦٠٧) بالدور السادس..

بعد وصوله بدقائق أحضر له «عم حسين» فنجان القهوة، وقدمه له مع تحية الصباح.

بدأ الزوار يتوافدون.. بعضهم بمواعيد سابقة.. والبعض دون موعد.. فالجميع يعرف أن «نجيب محفوظ» يتواجد فى مكتبه صباح كل خميس حتى الثانية ظهرا.

جرى الحديث بغير إعداد.. ولا تحديد لموضوع.. تحدث مع ضيوفه وأصدقائه فى كل الموضوعات.. قال أحدهم:

- ننتظر اليوم إعلان جائزة نوبل فى الأدب.

فرد آخر:

- أرى أن القائمين على أمر هذه الجائزة مازالوا يتجاهلون أدباء العالم الثالث.

- يقف شاعر الهند «طاغور» وحده ليمثل هذا العالم ضمن الفائزين بالجائزة.

- لولا أن بعض أعماله مكتوب بالإنجليزية.. وأن البعض الآخر

تمت ترجمته إلى اللغة نفسها.. لعاش ومات دون أن يلتفت إليه أحد.

هنا قال «نجيب محفوظ»:

- أعتقد أن حركة الترجمة تتحمل جزءاً كبيرا من المسئولية، فكيف يصل إنتاجنا إلى هؤلاء، وهو محبوس داخل لغة لا يفهمونها.

وانفضت الجلسة.. وعاد «نجيب محفوظ» إلى منزله كعادته تناول غداءه «الخفيف»، واستبدل ثيابه وأوى إلى فراشه ينشد بعض الراحة..

.....

.....

على غير عادتها، جلست زوجته على طرف فراشه وراحت توقظه فى لهفة..

- قوم.. قوم يا نجيب.. الأهرام اتصل.. يقولون إنك حصلت على «نوبل»!

واشتد غضب الرجل.. وهو الذى لم يتعود من زوجته مزاجا مثل هذا.. إنه لا يذكر أنها أيقظته يوما من نومه، فهى تحترم نظامه اليومى وتساعده على تنفيذه منذ تزوجا فى عام ١٩٥٤.

وفجأة دق التليفون مرة أخرى.. وكان المتحدث هو «محمد باشا» مدير تحرير الأهرام الذى بادر قائلا:

- مبروك يا أستاذ.. مبروك.

- خير إن شاء الله.

- مبروك عليك جائزة نوبل.. الأستاذ «سلامة أحمد سلامة» يريد أن يتحدث إليك.

- مبروك يا أستاذ.. شرفتنا.. جاءتنا أسماء الفائزين بنوبل الآن.. وأنت الفائز بجائزة الأدب، جلس «نجيب محفوظ» وهو بين مصدق ومكذب؟.. فهل فاز حقا بجائزة نوبل؟.

أما زوجته فقد جلست أمامه تغالب دموعها وهى تقول:

- كثيرا ما قلت لك إنك تستحقها.. مبروك.

وقبل أن يلتقط الزوجان أنفاسهما، رن جرس الباب ودخل مجموعة من الرجال يتوسطهم رجل طويل القامة وسيدة أنيقة.

وتقدم أحد هؤلاء بأدب جم، وقدم الزائر وزوجته - سعادة سفير السويد وحرمه.

صافح «نجيب محفوظ» الضيف.. وقد بدأت ملامح الحدث تتضح.. إذًا فالخبر صحيح.. إذا.. عليه أن يبدل ثيابه.. فلا يصح أن يقابل الناس وهو يرتدى «البيجامة».. وأسرع يبدل ثيابه ثم عاد يرحب بضيوفه ويتسلم الهدية الرمزية التى قدمها له «سفير السويد».. وكانت الهدية عبارة عن قدح فاخر من البللور «السويدى».

. . . . . .

. . . . . .

وانقلبت حياة نجيب محفوظ وتغير نظامه اليومى الذى حرص على دقته طوال حياته.. وتكاثر عليه الصحفيون والمراسلون فى

البيت وفى مكتبه بالأهرام.. وطاردوه فى كل الأماكن التى تعود أن يرتادها - كازينو قصر النيل وقهوة على بابا..

واضطر نجيب محفوظ لأول مرة فى حياته أن يستعين بمن يرتب له مواعيده وأوقاته.

وفتحت له الأهرام حجرة «توفيق الحكيم» وهى غرفة فسيحة على عكس غرفته التى كانت ضيقة.. لكن «محفوظ» رفض أن يجلس على مقعد «الحكيم».. وقال:

- كيف أجلس على مقعد أستاذى.. سأكتفى بالجلوس هنا.

وجلس نجيب محفوظ على أحد مقاعد صالون صغير موجود داخل الغرفة.. ومن فوق هذا المقعد خرجت كل أحاديثه الصحفية ولقاءاته الإذاعية والتليفزيونية إلى كل العالم.

.....

.....

.....

فما حيثيات قرار لجنة الأكاديمية السويدية للآداب بمنح جائزة نوبل لعميد الرواية العربية «نجيب محفوظ» فى عام (١٩٨٨).

يقول القرار..

[إن الإنجاز الحاسم والعظيم «لنجيب محفوظ» ككاتب للرواية والقصة القصيرة هو أن إنتاجه كان يعنى تحولا كبيرا للرواية كعمل أدبى، ولتطوير اللغة الأدبية فى الدوائر الثقافية الناطقة باللغة

العربية، ولعل مدى الإنجاز الذى حققه، وهو أعظم من ذلك أن أعماله كانت تخاطب العالم ككل.

لقد صنع محفوظ اسمه الكبير فى عالم الأدب بثلاثيته الشهيرة خلال عامى ١٩٥٦ و١٩٥٧، التى تتناول جزءاً من تاريخ مصر خلال الفترة من أواخر العقد الأول من القرن العشرين وحتى منتصف الأربعينيات من خلال أسرة من الطبقة المتوسطة].

ويمضى بيان اللجنة فى سرد الإنجازات الفنية والأدبية للكاتب الكبير «نجيب محفوظ».. وينتهى إلى نتيجة مهمة.. هذه النتيجة التى أهلته بجدارة لنيل هذه الجائزة الكبرى.

[إن أعماله هى إضاءة فى الحياة الإنسانية بصفة عامة].

وكان على «نجيب محفوظ» أن يسافر إلى استكهولم عاصمة «السويد» لتسلم الجائزة من ملك السويد، كما تقضى بذلك تقاليد الجائزة، لكنه - وبعد تفكير طويل - اعتذر عن السفر.

[كان لابد أن أعتذر عن السفر لتسلم الجائزة، فصحتى لا تساعدنى على هذا السفر الطويل ومشقة الاستقبالات ومصافحة المهنئين، كما أن مشاكل السمع عندى كانت قد زادت للحد الذى يمنعنى من متابعة المناقشات التى تدور حولى.. كان من الضرورى أن أعتذر وأعفى نفسى من حرج مشاكل السمع، ومن مشقة السفر والاحتفال.

إذاً فمن يتسلم جائزة نوبل والنيشان الذى يمنحه «ملك السويد» للفائز - كما هى العادة فى كل عام؟..

ووجدت السيدة «عطية الله» حرم نجيب محفوظ حلا للمشكلة، فلماذا لا تسافر «فاطمة» و«أم كلثوم» ابنتا الأديب الكبير لتسلم الجائزة والنيشان.

واستعدت الفتاتان للسفر ومعها الصحفى «محمد سلماوى»، الذى ألقى كلمة الأديب نجيب محفوظ نيابة عنه فى الأكاديمية السويدية.

وكانت كلمة «نجيب محفوظ» تحفة لغوية وفكرية نادرة.. تحدث فيها بلغة عالية تناسب الصفوة التى وجهت إليهم، ولأن الكلمة طويلة.. فإنى اختار منها عبارة واحدة تعكس مدى روعة الفكر الذى تجلى فى كل كلمة منها.. قال «محفوظ»:

[أنا ابن حضارتين تزاوجتا فى عصر من عصور التاريخ زواجا موفقا.. أولاهما عمرها سبعة آلاف سنة، وهى الحضارة الفرعونية، والثانية هى الحضارة الإسلامية..

قدر لى يا سادة أن أولد فى حضن هاتين الحضارتين، وأن أرضع لبنهما وأتغذى على آدابهما وفنونهما، ثم ارتويت من رحيق ثقافتكم الثرية الفاتنة.. ومن وحى ذلك كله بالإضافة إلى تجربتى الخاصة ندت عنى كلمات أسعدها الحظ باستحقاق تقدير أكاديميتكم الموقرة فتوجت اجتهادى بجائزة نوبل الكبرى.

فالشكر أقدمه لها باسمى وباسم البناة العظام الراحلين من مؤسسى الحضارتين].

وكان يوم ١٠ ديسمبر ١٩٨٨ يوما رائعا لكل من نطق بالعربية أو

كتب بها.. ففى هذا اليوم سلم «ملك السويد» براءة الجائزة والنيشان لابنتى «نجيب محفوظ» نيابة عنه.

[كان منظر البنتين فى غاية الجمال عندما صعدتا لتسلم الجائزة من ملك السويد الذى داعبهما بظرف وسألهما.. من منكما تتسلم الجائزة.. وأعطى الجائزة لواحدة والنيشان للأخرى][1].

وكانت هذه الجائزة اعترافا دوليا بأن الأدب العربى لا يقل فى مستواه الفنى والإنسانى عن غيره من الآداب، التى نال كتابها هذه الجائزة.

كما كان حصول «نجيب محفوظ» عليها اعترافا بدوره الكبير فى إرساء بنيان الرواية العربية وتدعيمه، من خلال الأشكال المتعددة والأنماط المختلفة التى قدمها فى إطار هذا الفن، الذى لم يكن معترفا به، قبل أن يؤسس له «محفوظ» هذه الأسس الجديدة والعلمية والمبتكرة.

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

كانت «جائزة قوت القلوب الدمرداشية» التى حصل عليها «نجيب محفوظ» فى عام ١٩٤٠ هى البداية.. وكانت جائزة نوبل فى الأدب عام (١٩٨٨)، هى أعلى جائزة دولية يحصل عليها.. لكن بين الجائزتين كان هناك أكثر من تقدير.. ففى عام (١٩٥٧) منحه الزعيم

(١) ص ١٦٥ من كتاب رجاء النقاش «نجيب محفوظ».

الراحل جمال عبدالناصر جائزة الدولة فى الأدب مع وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى.

وبإعلان حصوله على جائزة نوبل، منحه الرئيس حسنى مبارك قلادة النيل - وهى أرفع الأوسمة المصرية.

لكن وساما أكبر وأغلى وضعه قراء نجيب محفوظ على صدر الأديب، الذى أحب وطنه وأخلص فى حبه له، فسجل تفاصيل حياته فى رواياته وقصصه التى ترسم صورا لوجوه مصرية خالصة، بما فيها من خير وحب وصفاء، وما فيها من شر وقسوة وجنوح.. وهذه هى عملة الحياة بوجهيها..

وسيظل التاريخ.. وتاريخ الأدب العربى يذكر أن نجيب محفوظ هو أول من كتب اسم «نوبل» بحروف عربية.